Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان توفيق الحكيم أديبًا مجددًا، فما بين التجديد والمحافظة اختار التجديد ولكنه اختار التجديد الصعب، المحسوب، المدروس، الذى من شأنه أن يبقى ويرسخ ولا يتبدد سريعًا. فى كتابه «مصر بين عهدين» يقول: «فى الأدب والفن شاهدت بنفسى مولد السوريالية وثورتها ضد المنطق العقلى، وكان زعماؤها من الشباب المقترب منا وقتئذ فى السنّ. كما عشت فى جو نخبة من الفنانين المجددين المجاهدين ضد العنت التقليدى والرفض العام فى تلك الأيام. كانوا فى الفن التشكيلى «بيكاسو»، وفى الشعر «كوكتو»، وفى المسرح «بيتوييف»، وأحيانًا كانوا يلتقون فى عمل فنى واحد فى صورة مسرحية. وكان الفقر والصعلكة والفكر المتحرر إطارهم الذى يتحركون فيه. وكنت مثلهم أريد أن أتحرر بفكرى، وأن أحاول فهم كل ثورة جديدة فى الفن والفكر. وكانت حياتى قريبة من حياتهم من حيث الصعلكة والفقر ونهم المعرفة..

وفى «عودة الوعى» يدافع عن نفسه إزاء من اتهمة بالرجعية، ويصنّف نفسه تقدميًا:

«إننى بما كتبت لم أكن أتجنى على عبد الناصر كما قالوا. إننى على العكس أحبه وأقدره، لكننى أضع اجتهاداته فى موقعها، وأعتبر أن مشكلات الديمقراطية والاشتراكية فى بلادنا ما تزال بعد عبد الناصر فى حاجة إلى حلول أخرى ثورية وديمقراطية. إننى لا أنقد لحساب الماضى، وإنما أنقد لحساب المستقبل. لقد حاولت نقد ما رفضت من سلبيات أيام عبد الناصر، بل أيام السادات أيضًا. إن ميولى التقدمية كانت دائمًا واضحة، ومنذ ما قبل الثورة. ويكفى كتاب «سلطان الظلام» الذى كان يحارب النازية منذ أربعين عامًا. أما تعاطفى مع الماركسية التى كنت أدرسها فى العشرينيات، عندما كان عمر الثورة الروسية أقل من سبع سنوات، فشىء معروف. وكنا أيامها نرقب إنشاء حزب أو اتجاه اشتراكى واضح فى مصر. ولكل ذلك أعتبر من حقى أن أتكلم اليوم عن الاشتراكية فى مصر، ومن حقى أن أعمل على وضعها على أساس سليم، وأن أخاف على اليسار المصرى وأحافظ عليه وعلى مستقبله».

على أن تقدمية توفيق الحكيم إذا كانت مسألة غير مسلّم بها تسليمًا كاملاً، فلا شك أنه كان شخصية قلقة، نابضة بالحيوية، وبالأسئلة الكثيرة، والدقيقة. والتى لا أجوبة نهائية أو يقينية بصددها. فى بعض ما كتب يتحدث عن داء بدأ ينمو عنده بنمو عقله، هو القلق: «لم أستطع من القلق فكاكًا طول عمرى. إنى فى حالة قلق